
مكتبة الملك عبدالعزيز العامة
مكة المكرمة والمدينة المنورة
صور نادرة
«نماذج من مقتنيات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة»



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

مكة المكرمة والمدينة المنورة: صور نادرة / مكتبة الملك عبدالعزيز العامة - الرياض ١٤٢٧هـ

٧٦ ص، ١٩X٢١ سم

ردمك: ٧-٣٥-٧٠٨-٩٩٦٠

١ - مكة المكرمة -صور ٢- المدينة المنورة- صور- أ. العنوان

ديوي ٩٥٣,١٢ ١٤٢٧/٤٥٤١

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٥٤١

ردمك: ٧-٣٥-٧٠٨-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مكة المكرمة والمدينة المنورة

صور نادرة

« نماذج من مقتنيات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة »



التقديم

«إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين» كما فضل الله تعالى بعض البشر على بعض، وبعض الزمان على الزمان؛ فضل عز وجل بعض الأماكن على البعض الآخر؛ فخص جل وعلا مكة المكرمة والمدينة المنورة بالتشريف.. الأولى حيث المسجد الحرام، الذي تتوسطه الكعبة المشرفة.. قبلة المليار وثلاثمائة مليون مسلم.. وتهوي إليه أفئدتهم خمس مرات يوميًا في صلواتهم.. والأخرى .. مهاجر رسول الله التي تحتضن آخر مساجد الأنبياء.. مسجده النبوي الشريف..

كانت هاتان البقعتان المقدستان محل عناية واهتمام الرسامين والفنانين التشكيليين على مر التاريخ سواء عن طريق الوصف أم الرسم اليدوي... حتى دخول عهد التصوير الفوتوغرافي، حيث ظهرت أول مجموعة من الصور عام (١٢٩٧هـ/١٨٨٠م) ثم توالى المصورون المختلفون في نقل الصورة الحقيقية لمظاهر هذه العناية التي شهدها المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

فقد حظيت هاتان المدينتان الطاهرتان منذ فجر الإسلام برعاية المسلمين على مر العصور، سيما في العصر الحديث، حيث قدمت المملكة العربية السعودية.. قلب العالم الإسلامي عنايتها ودعمها الكبيرين، وتمثل ذلك توسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ما أحدث نقلة حضارية كبرى يلمسها روادهما وضيوفهما من قاصدين ومعتمرين وزوار.

ولأن الصور الفوتوغرافية القديمة تعد مصدرًا علميًا مهما من مصادر كتابة التاريخ.. تهتم الأمم كثيرًا بجمعها وحفظها؛ لتوفير مادة علمية لأبنائها الراغبين في دراسة تاريخ وطنهم.

فقد سعت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة التي تحظى بشرف الدعم والرعاية من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وبتوجيهات سامية منه - حفظه الله - جاهدة على أن تكون مركزًا للحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية وملتقى لتواصل الثقافات والحوارات الإنسانية.. من خلال ما تقتنيه من مصادر معلوماتية متنوعة في مجالات المعرفة المختلفة والحرص التام على جمع الإنتاج الفكري والعربي والأجنبي وتوثيقه بجميع أشكاله خاصة التراث العربي والإسلامي.. يأتي على رأس ذلك مجموعة





الصور النادرة والقديمة لمكة المكرمة والمدينة المنورة، والعالم العربي.

ويأتي إصدار هذا الكتاب تأكيدًا لنهجها الحضاري لترسيخ التواصل بين الثقافات؛ والتفاعل مع الحضارات الإنسانية الأخرى؛ الذي يحتوي على مجموعة كبيرة من الصور النادرة التي تقتنيها المكتبة لهاتين المدينتين المقدستين، بعدسات مصورين عرب، مثل: محمد صادق بك؛ وأحمد ميرزا؛ ومحمد حلمي وآخرين غربيين، مثل: سنوك؛ هورغرونيه.. وغيرهما أثناء رحلات الأوربيين للحرم والديار المقدسة..

وقد حرصت على عرضها وإتاحتها في معرض بمدينة جدة؛ بالتعاون مع أمانة مدينة جدة، بمناسبة اليوم الوطني السادس والسبعين؛ تواصلاً مع دور المكتبة الرائد للإسهام في الحفاظ على التراث الثقافي العربي والإسلامي؛ وتعريف الأجيال الصاعدة بمكنون هذا التراث.. غرسًا لقيم الأصالة؛ وإنصافًا لمن أسهم من المصورين العرب والغربيين في إغناء هذا التراث الإسلامي والإنساني العظيم.

والله تعالى الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.....،،

فيصل بن عبدالرحمن بن معمر

المشرف العام على مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

الصور الشمسية الأولى لمكة والمدينة المنورة

بدر الحاج

أحدث إعلان فرانسوا آراغو (١٧٨٦ - ١٨٥٣م) في السابع من آب ١٨٣٠ أمام أكاديمية العلوم الفرنسية في باريس عن اكتشاف التصوير الشمسي ثورة في الأوساط العلمية والفنية في أوروبا. هذا الاكتشاف الذي كان حصيلة تجارب عديدة قام بها لويس جاك ماندي داغير (١٧٨٧ - ١٨٥١م)، نقل التوثيق المرئي إلى مرحلة متطورة بحيث استفاد منه بشكل خاص علماء الآثار في تنقيباتهم المكثفة والتي جرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. بعد حوالي الشهرين من إعلان آراغو، التقطت أول صورة فوتوغرافية في المنطقة العربية وكانت لقصر الحريم التابع لمحمد علي باشا في مدينة الاسكندرية. ففي السادس من تشرين الثاني ١٨٣٩م التقط صورة القصر المصور الفرنسي فريديريك غوبيل فيسكه (١٨١٧ - ١٨٧٨م)، وبذلك دخل فن التصوير العالم العربي.

كانت معظم مناطق شبه الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر شبه مجهولة بالنسبة للمصورين الأجانب، باستثناء بعض الصور لمدن جدة وعدن ومسقط، والتي التقطها على ما يبدو مصورون كانوا في طريقهم إلى الهند. ولم تظهر أية صورة شمسية لمناطق شبه الجزيرة العربية قبل العام ١٨٦١م. وكان الرحالة الأوروبيون الذين تجولوا في شبه الجزيرة العربية من أمثال دومينغو باديا ليبيليش والمعروف باسم «علي بك» وجون لويس بوركهادرت وغيرهم، نشروا مخططات طبعت بطريقة الحفر لمدن جدة، وينبع، ومكة المكرمة وغيرها. وكانت تسبق عملية نشر تلك المخططات مرحلة يقوم فيها رسامون محترفون وحفارون بوضع اللمسات الفنية التي يرونها مناسبة على هذه المخططات. وفي أكثر الأحيان كانت هذه الرسوم تختلف عن الرسم الانطباعي الأصلي الذي نقلت عنه. لكن على النقيض من ذلك، فإن الصور الفوتوغرافية في مجملها كانت عبارة عن سجل بصري دقيق لما



سجلته عدسة المصور في لحظة معينة من الزمن.

المصور الأول اللواء محمد صادق

يعـود الفضل في التقـاط الصور الشمسية الأولى لمكة المكرمـة، والمدينة المنورة والأماكن الدينية المجـاورة للمدينتين إلى المصري اللواء محمد صادق باشا (١٨٢٢ ـ ١٩٠٢م).

تلقـى محمـد صادق علومه الأولى في القاهرة، ثم التحق بالمدرسة الحربيـة، وتم انتدابه للسفر إلى فرنسا لمتابعة دراسته العسكريـة ضمـن أفراد بعثة الجيش الرابعة التي اختارها الكولونيـل الفرنسي الملتحق بجيش محمد علي باشا جان ساف (١٧٨٨ـ١٨٦٢م) والمعروف باسم سليمان باشا. ضمت البعثة أربعة أفراد منهم اثنان من أبناء محمد علي باشا هما عبدالحليم وحسين، واثنان من أبناء إبراهيم باشا وهما (الخديوي) إسماعيل والأمير أحمد.

المؤكـد أن محمـد صادق قد اتقن فن التصوير الفوتوغرافي في فرنسا، كذلك فن رسم الخرائط وتخـرج برتبة مهندس من معهـد البوليتكنيك. وبعد عودته إلى مصر عين من قبل سعيد باشـا مدرسًا للرسم في المدرسة الحربية في القاهـرة، والتي كان يديرها المثقف المصري المعروف رفاعة الطهطاوي.



الرحلات الحجازية

قام محمد صادق خلال الفترة الممتدة ما بين ١٨٦١ و١٨٨١م بثلاث رحلات حج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد سجل مشاهداته وانطباعاته خلال الرحلات الثلاث بشكل دقيق ونشرها على ما يبدو بنسخ محدودة جدًا في القاهرة.

وللأسف لم تكن النصوص التي نشرها متوفرة في أية مكتبة عربية أو أجنبية عامة إلى وقت قصير. فعلى سبيل المثال افتقرت المكتبة الوطنية في القاهرة ومكتبة وزارة الحربية المصرية إلى مؤلفات محمد صادق، والمعلومات الوحيدة التي توفرت عنه كانت عبارة عن ثلاث مقالات باللغة الفرنسية نشرها في مجلة الجمعية الخديوية الجغرافية في القاهرة ما بين ١٨٨٠ و١٨٨١[١].

وفي العام ١٩٩٧م، تم اقتناء كامل ما كتبه اللواء محمد صادق، وما التقطه من صور فوتوغرافية لمكة المكرمة والمدينة المنورة، وما رسمه من خرائط على درجة كبيرة من الدقة والندرة، من قبل مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض. في تلك السنة ضمت المكتبة إلى مجموعتها القيمة المكتبة الخاصة للمستشرق الأمريكي جورج رنتز، وكانت هذه المكتبة تحوي على كافة كتابات محمد صادق المنشورة عن رحلاته الحجازية[٢]، وهي التالية:

١) «نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية، وبيان خريطتها العسكرية»، القاهرة، ١٨٧٧م.

٢) «مشعل المحمل» القاهرة، ١٨٨٠م.

٣) «كوكب الحج في سفر المحمل بحرًا وسيره برًا» القاهرة، ١٨٨٤م.

٤) «دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج»، القاهرة، ١٨٩٥م.





إن المعلومات التي نشرها محمد صادق في كتبه، والخرائط التي رسمها، والصور الفوتوغرافية التي التقطها أثناء رحلاته إلى الحجاز، كانت بدون أدنى شك ذات أهداف عسكرية بالدرجة الأولى، ويبدو ذلك بوضوح من خلال تركيزه على مواقع الجبال والأودية، وتحديده المسافات، وأماكن نصب خيام الجند، واعداد العساكر، وأماكن تواجد آبار المياه وغير ذلك. كما أن عنوان كتابه الأول كان واضحا من حيث استهدافاته العسكرية بتضمينه عبارة «... بيان خريطتها العسكرية».

والمعروف تاريخيًا أن شبه الجزيرة العربية وسورية كانتا في طليعة الأهداف العسكرية لمحمد علي باشا. ولذلك استعان الخديويون بضباط أوروبيين وقلدوهم مواقع قيادية في الجيش المصري أثناء حملاتهم العسكرية في سورية وشبه الجزيرة العربية، وكانت المعلومات الجغرافية والخرائط العسكرية التي رسمها الضباط الأوروبيون لمناطق الحجاز ونجد أثناء حملات الجيش المصري في العقد الثاني من القرن التاسع عشر غير دقيقة. والمثال على ذلك الخريطة التي رسمها الإيطالي جيوفاني فيناتي الملقب بـ «الحاج أحمد»، لذلك تم تكليف محمد صادق إنجاز الخرائط العلمية الدقيقة لمنطقة الحجاز.

الصور الأولى

قام محمد صادق برحلته الأولى إلى الحجاز سنة ١٨٦١م بمعية الوالي محمد سعيد باشا، ويذكر محمد صادق أن القصد من الرحلة هو: «ذكر الاستكشافات العسكرية، وتشخيص الأماكن والمناخات، وتعيين الطرق والمحطات»[٣].

أنجز صادق خلال هذه الرحلة خرائط تفصيلية من الوجه إلى المدينة المنورة، وكذلك خرايطة تفصيلية للحرم الشريف، كما التقط أول صورة فوتوغرافية للمدينة المنورة ويصف صادق كيفية التقاطه الصورة الأولى بقوله: «... وأخذت رسم المدينة المنورة بواسطة الآلة الشعاعية المسماة بالفوتوغرافية مع قبة المقام الشريف جاعلا نقطة منظر المدينة من فوق الطوبنخانة حسبما استنسبته لكي يحوز جزءًا من المناخة أيضا. وأما منظر القبة الشريفة فقد أخذته من داخل الحرم بالآلة المذكورة أيضا، وما سبقني أحد لأخذ هذه الرسومات بهذه الآلة أصلا»[٤].

تحدث صادق عن الصعوبات التي واجهها خلال عملية التصوير معتبرا أن تفاوت درجات الحرارة كان يؤثر سلبا في نوعية التصوير قائلا: «كانت الحرارة داخل الخيمة ٢٨ درجة من الترمومتر الثمانيني (توازي ٣٥ درجة مئوية) وفي الصباح بلغت الحرارة درجة الصفر داخل الخيمة، في حين كانت خارج الخيمة أربعة تحت الصفر وقارب الماء أن يتجمد»[٥].





الرحلة الثانية : مشعل المحمل

عاد محمد صادق مرة ثانية إلى الحجاز أيلول ١٨٨٠م بوصفه أميناً للصرة في قافلة المحمل المصري التي كان يقودها اللواء عاكف باشا، والتي ضمت ولي عهد مصر سعيد باشا برفقة عدد من باشاوات مصر، إضافة إلى حاشية ضخمة من الحراس المزودين بثلاثة مدافع، ومساعدين صحيين وطباخين وسقائيين وفراشين وثلاثمائة جمل محمل بمياه النيل والأطعمة التي تكفي حوالي مئتي شخص. ووصف صادق في كتابه «مشعل المحمل» الذي ضمنه انطباعاته طرق الحج ومناسكه، كما وصف وصفا جغرافيا دقيقا مكة المكرمة والمدينة المنورة وسرد تاريخ قافلتي المحمل الشامي والمصري. أما بالنسبة لنشاطه الفوتوغرافي فيقول إنه استطاع التقاط العديد من الصور الشمسية في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ومنى، والبقيع، من بينها صوراً للأبنية من الداخل ولبعض الشخصيات.

أشار صادق إلى مقبرة مكة (المعلاة)، وقال إنه «رسم منظر المقبرة بالفوطوغرافيا». كما تيسر له التقاط صور للمسجد المكي والكعبة على رغم كثرة الإزدحام، ويقول: «تيسر لي أخذ خريطة الحرم السطحية بالضبط والتفصيل، وأخذت أيضا رسم المدينة المنورة بالفوطوغرافيا مع قبة المقام الشريف والخمس منارات، وقد أخذت منظر القبة الشريفة من داخل الحرم، وأخذت صورة سعادة شيخ الحرم وبعض أغوات الحجرة الشريفة وما سبقني أحد لأخذ هذه الرسومات بالفوطوغرافيا أصلا»[٦]. وتابع يقول: «... وقد تيسر لي رسم مسطح الحرم بالبيان وأخذ رسم منظره من جملة جهات مع ما حوله من البيوت بواسطة الفوطوغرافيا»[٧].

وهناك احتمال كبير في أن تكون صورة المدينة التي نشرت في كتاب دايفيد جورج هوغارت بعنوان «اختراق الجزيرة العربية» والتي يقول هوغارت إن

ملتقطها هو «ضابط تركي صورها حوالي سنة ١٨٨٠م...»[٨] من تصوير الضابط علي بك نفسه.

الرحلة الثالثة : كوكب المحمل

حصل محمد صادق على ميدالية ذهبية في معرض البندقية الفوتوغرافي في سنة ١٨٨١م نتيجة لجودة ودقة إنتاجه الفوتوغرافي لمكة والمدينة والتي ظهرت صورهما لأول مرة في أوروبا [٩]. قام محمد صادق برحلة حج ثالثة وأخيرة في أيلول سنة ١٨٨٤م برفقة المحمل المصري نشر تفاصيلها في كتابه الثالث بعنوان: «كوكب الحج في سفر المحمل بحرًا وسيره برًا»[١٠].

لم يشر صادق في هذا الكتاب إلى أية نشاطات تصويرية، لكنه وصف بشكل مفصل الاحتفالات بوصول المحمل إلى جدة، كما وصف لقاءاته مع أمير مكة، وشيخ الحرم المكي. وانتقال المحمل المصري والشامي إلى منى وعرفات، وتحدث عن عادات وتقاليد أهل مكة والطائف وتصرفات البدو وأعداد القوات العثمانية في الحجاز ومواضيع أخرى.

وفي سنة ١٨٩٥م، قام محمد صادق بجمع خلاصة رحلاته الحجازية الثلاث في كتاب وأحد بعنوان «دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج»، تضمن فيما تضمن إعادة التأكيد على حقيقة كونه أول من التقط صورا فوتوغرافية في المدينة ومكة ومنى والبقيع.

تعتبر الصور التي التقطها محمد صادق لمكة والمدينة من أندر وبالتأكيد أول صور فوتوغرافية للمدينتين. وقد استعملت هذه الصور في العديد من الكتب المنشورة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين والتي يتحدث كتابها عن المدينة ومكة. وذكر محمد لبيب البتنوني في كتابه «الرحلة الحجازية» أنه استعمل في كتابه الصور التي التقطها محمد صادق لدقتها، ووضع للحرمين





الشريفين رسما نظريًا معتمدًا على الأبعاد التي وضعها لهما محمد صادق[١١]، كما استعمل صبحي صالح في كتابه «الحج إلى مكة والمدينة» الصادر بالفرنسية في القاهرة سنة ١٨٩٤م الصور التي التقطها محمد صادق، وكذلك المصور الهولندي كريستيان سنوك هيروغرونيه في كتابه «صور من مكة»[١٢].

أيضا منح محمد صادق النيشان المجيدي من الصنف الثالث تقديرًا أعماله التصويرية والجغرافية[١٣]. هنا يجب الإشارة إلى مسألة يجري تداولها وتكرارها من قبل مؤرخين مستشرقين ممعنين في عدائهم للإسلام وعنصريتهم، يلجأون في طروحاتهم إلى تزوير الحقائق واختلاق الأوهام بهدف تثبيت نظرية خاطئة أصلا. هذه النظرية تدعى أن التصوير محرم في الإسلام، حيث إن أحدهم ادعى أن محمد صادق «اضطر إلى إخفاء آلة التصوير في مكة»[١٤] بسبب التزمت الديني. لكن هذا الإدعاء لم نجد له أثرا في جميع كتابات محمد صادق، وعلى العكس من ذلك فإن محمد صادق المواطن المصري كلف من قبل حكومته في رسم خرائط جغرافية للحجاز وتصوير الحرمين الشريفين، وإنجازاته في هذين المجالين وفي مرحلة متقدمة جدًا من تاريخ التصوير الفوتوغرافي في المنطقة العربية دحض واضح لأمثال هذه الإدعاءات العنصرية.

هيروغرونيه «عبدالغفار» الهولندي

كان المستشرق الهولندي كريستيان سنوك هيروغرونيه (١٨٥٧ ـ ١٩٣٦م) من أبرز الذين وثقوا مكة بالصورة بعد محمد صادق. تلقى هيروغرونيه علومه في جامعتي ستراسبورغ وليدن منذ العام ١٨٧٤م. وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة ليدن سنة ١٨٨٠م والتي حملت عنوان «احتفالات مكة». وشغل منصب أستاذ الدراسات العربية في جامعة ليدن حيث كان يقوم بتدريس الموظفين والديبلوماسيين العاملين في مستعمرات هولندا في الهند الشرقية.

كانت الحكومة الهولندية ابتداء من العام ١٨٧٠م قد بدأت بالتركيز على جمع المعلومات عن منطقة الحجاز وبالتحديد مكة المكرمة وجدة كونهما بوابة رئيسية لاستقبال آلاف الحجاج المسلمين الأندونيسيين. لذلك أرسل هيروغرونيه في آب من العام ١٨٨٤م إلى جدة، وبدأ بدراسة اللهجة المحلية تمهيدًا لذهابه إلى مكة. وبالفعل غادر هيروغرونيه جدة في الحادي والعشرين من شباط ١٨٨٥م برفقة مسلم من جاوه، ووصل مكة مساء اليوم التالي. أمضى هيروغرونيه ما يقارب ستة أشهر في مكة، اعتنق خلالها الإسلام وأطلق على نفسه اسم «عبدالغفار»، وتزوج فتاة من جاوه، وبواسطتها اطلع على معلومات كثيرة حول الحج ومناسكه، وعادات المسلمين، والحياة الاجتماعية في المدينة. وخلال إقامته التقط صورًا لمكة وللحجاج القادمين إليها من مختلف أرجاء العالم الإسلامي.

لم يستطع هيروغرونيه زيارة المدينة المنورة، فقد ظهرت خلال إقامته في مكة مقالة في مجلة Le Temps الباريسية لنائب القنصل الفرنسي في جدة يشير فيها إلى أن الهدف الحقيقي من إقامة هيروغرونيه في مكة هو التوسط لمصلحة الألمان بهدف تأمين الحصول على حجر تيماء، الذي عثر عليه خلال التنقيبات الأثرية، والذي نشأت بسببه في ذلك الحين منافسة قوية بين الأوروبيين بهدف الاستيلاء عليه. وتمت ترجمة المقال إلى التركية والعربية والذي تسبّب في نقل هيروغرونيه من قبل العسكريين





الأتـراك إلى جـدة حيث عاد إلى هولندا حيـث قام بنشر عدة أبحاث عن الحج ومناسكه، كمـا نشر مجلدين مصورين، الأول بعنـوان «أطلـس مكـة المصور» (ليـدن ١٨٨٨م)، والثـاني «صور من مكـة» (ليـدن ١٨٨٩م). ويظهر بوضوح من خـلال مؤلفات هيروغرونيـه أن فن التصويـر الشمسي لم يكن مجهولا في مكة. فهو يذكر أنه «التقى رجلا من الأشراف كثير الأسفار أحضر معه صورًا ومعدات تصويرية من جزر الهند الشرقية»[١٥].

ولم تكـن الصـور التي ظهـرت في مجلدي «أطلس مكة المصور»، و«صـور من مكة» من تصوير هيروغرونيه، فهـو يؤكد أنه استعمل صورًا قدمها له هدية محمد صادق الذي يصفه بأنه «ضابط مصري ومهندس شديد الدقة، قام لسنوات طويلة بمرافقة الحجاج المصريين والمحمل بصفة رسمية»[١٦].

كمـا يفصـح هيروغرونيـه عن هويـة مصور آخر أسهـم بدرجة كبيرة في التقـاط العديد من الصـور في مكة والتـي استعملها أيضا هيروغرونيه في المجلدين المصورين. يقول إن جل الصور التي نشرها كان التقطها طبيب من مكة والأرجح أن هيروغرونيه يعني بذلك الشخـص نفسه عندما يصف «... طبيبًا شديد الحماسة عليم بصناعة الساعات وتصليح البنادق، وتقطير الزيوت العطرية، وطلي الحلـي بالذهـب والفضة، وعمل الأبواق وصنع القوالـب...»[١٧] ويذكر هيروغرونيه أنه بعد الانتهـاء من طباعة كتابه المصور الأول، تلقـى مـن «طبيب مكة» والذي يدعي هيروغرونيه أنه كان قد علمه التصويـر، رسالة تحوي على صور في غاية الأهمية التقطها خلال موسم الحج اضطرته لإصدار مجلد مصور آخر هو بمثابة ملحق للمجلد الأول وذلك سنـة ١٨٨٩م، ويختتم هيروغرونيه كلامه عن «طبيب مكة» بالقـول إنه غير ملم بالنواحي العلمية، ولكنه سيستحق الثناء لو أنه وافق على أن يعمل من حين إلى آخر كما يطلب منه، بحيث لا تكون الصور التي أرسلها لتوه آخر تجربة له في هذا الفن.

لم يحـدد هيروغرونيـه هويـة «طبيب مكـة» لكن من المعـروف أن هناك العديد مـن الصور لمكـة المكرمة تحمل أوصافًـا وشروحًا باللغـة العربيـة مع عبـارة «فوتوغرافيت السيد عبدالغفار. طبيـب مكة». وهنا يكمن التشابه في الأسماء بـين عبدالغفار الهولندي ، وعبدالغفـار. طبيـب مكة، والذي كشف محمد صادق عن هويته الهندية عندمـا ذكر في كتابه «دليل الحج...» عن لقائه بالمصور عبدالغفـار قائـلا: «... توجهـت إلى منزل أحد الأطباء المسمى عبدالغفـار أفندي الطبيب، لأن الأطبـاء قليلون بمكة والمشهورون هـم من الهنود، وهذا يشتغل بالطـب والفوطوغرافيا وحضر معي إلى مصر وتعلم صناعة الأسنان من الدكتور فولر الشهير وأكثر شهرته بمكة استخراج الروائح العطرية كما استحوذ على إذن من الشريف بأن يكون من جملة المطوفين»[١٨].

ولمـع مصـور هنـدي آخر هو أ.هـ. ميرزا أحد أبـرز الذين التقطوا صورًا لمكـة والمدينة في أواخر القرن التاسـع عشر ومطلع القرن العشرين. وكان ميرزا صاحب استديو للتصوير في شاندي شوق في دلهي، وقام بإنتاج صور زينها بشروح وأحاديث باللغة الأوردية، وذلـك في ألبومـات في غاية الأناقـة، والواضح من خلال النصوص التـي رافقت الصور بأن مـيرزا كان يستهدف بالدرجة الأولى تسويـق صـورة للحجاج المسلمين الهنود. ويذكر الرحالة البريطاني وايفيـل في كتابه «الحج الحديث إلى مكة»، والذي ضمنه صورا التقطها ميرزا بأنه اشترى الصور من مكتبة تقع في الشارع الرئيسي المؤدي إلى الحرم [١٩].





المصور المصري إبراهيم رفعت باشا

رافق الانتشار التجاري السريع لآلات التصوير في أواخر القرن التاسع عشر زيادة في عدد المصورين. ولم يعد هذا الفن حكرًا على المصورين المحترفين بل انتشر بشكل واسع خصوصا بين قوافل الحجاج المسلمين سواء من مصر وسورية أو من مصر والهند والأقطار الأخرى. وتعتبر الصور التي التقطها اللواء إبراهيم رفعت باشا في مطلع القرن العشرين من أفل النماذج التي انتجت في تلك الحقبة.

تميزت الصور التي التقطها اللواء رفعت في الحجاز والتي نشرها في مجلدي «مرآة الحرمين» بنوعية ممتازة، وكان رفعت قد قام برحلته الأولى إلى الحجاز في العام ١٩٠١م؛ ويذكر أنه كان يتمنى لو أنه اصطحب معه مصورًا فوتوغرافيًا كي يسجل بدقة وأمانة موكب الحجاج، وفور عودته إلى مصر انكب على دراسة فن التصوير، وعندما تم اختياره في العام ١٩٠٣م لمنصب أمير الحج المصري، قرر أن يحمل معه في رحلته آلة تصوير بهدف التقاط صور لكل ما يراه مناسبا في طريقه بحيث يسهل على كل قارئ لكتبه فهم النص والاطلاع بالعين المجردة على صور مكة والمدينة. وتلت رحلة الحج هذه رحلتان مماثلتان في العامين ١٩٠٤م و١٩٠٨م. وخلال رحلته الأخيرة حمل إبراهيم رفعت آلتي تصوير، الأولى تلتقط صورا بمقياس ١٨×١٢سم، والأخرى بمقياس ١٢×٩سم. نشر إبراهيم رفعت ما يقارب الأربعمائة صورة في كتابه المؤلف من مجلدين، وحملت الصور



المنشورة في الكتاب عبارة: «جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للواء إبراهيم رفعت باشا»، وذلك باللغتين العربية والإنكليزية الأمر الذي يؤكد أن المصور قام باستعمال هذه الصور ضمن إطارات تجارية في تلك الفترة.

ويذكر اللواء رفعت أن معظم الصور المنشورة في «مرآة الحرمين»، كان قد التقطها بنفسه، ويشير إلى أن ناظر التكية المصرية في مكة أحمد أفندي صابر قام بالتقاط صور أخرى نشرت إلى جانب صوره. وكان قد رافق اللواء رفعت في رحلة الحج الأخيرة سنة ١٩٠٨م صديقه المصور محمد علي سعودي الذي قام أيضا بالتقاط صور عديدة خلال تلك الرحلة. وألقى إبراهيم رفعت الضوء على نشاطات مصور آخر هو خليل القازاني الذي قام بتصوير مسجد عروة في المدينة، ونشرت هذه الصورة إلى جانب صور أخرى من أعماله في كتاب «مرآة الحرمين»[٢٠].

إلى جانب المصورين المصريين الأوائل، نشط مصورون عسكريون عثمانيون في منطقة الحجاز قبل الحرب العالمية الأولى أمثال المصور العسكري علي بك الذي ذكر محمد صادق أنه التقاه في مكة، وكذلك اللواء محمد علي الناشط في سنجق المدينة المنورة[٢١]. والمصور سليمان زهدي الذي أنتج صورًا في مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر.

وشهد النصف الأول من القرن العشرين تدفق العديد من المصورين، والمهندسين إلى معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية. وبدأت بالتدريج الصور الفوتوغرافية بالظهور لقرى ومدن نائية كانت بعيدة عن عدسات المصورين. وأعمال المهندس المصري محمد





حلمي الـذي جاء إلى مكة المكرمة في بعثة هندسية مصرية، جاءت بناءً على طلب من الملك عبدالعزيز - طيّب اله ثراه لإعداد دراسة هندسية شاملة عن الحرمين الشريفين؛ ومعرفة ما تحتاجه من مشاريع تطوير؛ وهي تُعد نموذجًا للاهتمام المتزايد بالأماكن المقدسة وبتفاصيلها الهندسية والمعمارية.

في الختام، تكتسب اللقطات الفوتوغرافية الأولى لمكة والمدينة أهمية كبيرة كونها التاريخ المرئي الوحيد المتبقي لحقب، وتقاليد، ومواقع شهدت حالات من التغيير الجذري، بحيث أصبحت هذه الصور الوثيقة الوحيدة الشاهدة على هذا العالم الذي مضى.

الهوامش:

١. نشرت المقالات الثالث في مجلة: Bulletin de la Société Khédivale de Géogaphie، وفق العناوين التالية:

- Médine il y a vingt ans، الصفحات ١٩ـ ٣٢ آيار ١٨٨٠.
- المقال الثاني تكملة للمقال الأول، الصفحات ٦ ـ ١٥، آب ـ تشرين الثاني ١٨٨٠.
- المقال الثالث بعنوان: Voyage à La Mecque، الصفحات ٥ ـ ٤٠، آيار ١٨٨٠.

٢. أعيد نشر كتابات محمد صادق تحت عنوان «الرحلات الحجازية» بدر للنشر، بيروت ١٩٩٩.

٣. محمد صادق، «نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية وبيان خريطتها العسكرية» مطبعة أركان حرب الجهادية، القاهرة، ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، ص ٢.

٤. المصدر السابق، ص ١٩.

٥. المصدر السابق، ص ١٠.

٦. محمد صادق، «مشعل المحمل، رسالة في سير الحج المصري برًا» مطبعة وادي النيل، القاهرة، ١٢٩٨هـ/١٨٨١م، ص٤٥.

٧. المصدر السابق، ص ٣٣.

٨. دافيد جورج هوغارث، The Penetration of Arabia, Aleston Rivers Ltd، ١٩٠٥، الصورة المواجهة لصفحة ٩٤.

٩. محمد صادق، «دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج»، القاهرة، بولاق، ١٣١٣هـ/١٨٩٥م، ص ٣٩.





١٠. محمد صادق، «كوكب الحج في سفر المحمل بحرًا وسيره برًا»، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م.

١١. محمد لبيب البتنوني، «الرحلة الحجازية» الجمالية، القاهرة، ١٩١٣.

١٢. ص 215 . C. S. Hurgronje, Mekka in the latter part of the 19h Century, E.J. Brill, Leiden, 1931.

١٣. يوسف أصاف، «تاريخ عام ١٨١٨»، المطبعة الحرة، القاهرة، ١٨٧٨، ص ٤٦.

١٤. ص 215 . Nissan N. Perez, Foctus East, Early Photography in the Near East 1839-1885, Harry N. Abrams Inc. Publishers, New York, 1988.

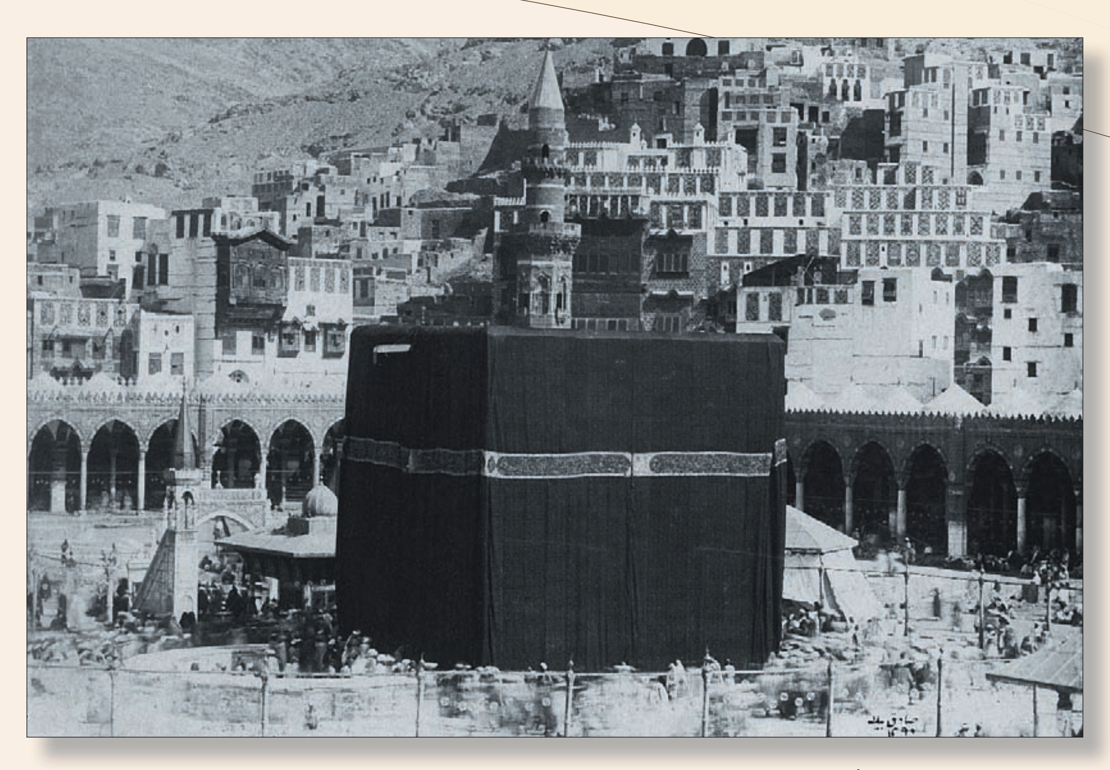
١٥. ص 165 . C. S. Hurgronje, Mekka in the latter part of the 19h Century.

١٦. المصدر السابق، ص ٢١٥.

١٧. المصدر السابق، ص ٩٣.

١٨. محمد صادق، «دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج»، ص ٦٩.

١٩. A. J. B. Wavell, A Modern Pilgrim in Macca and a Siege in Sanaa, Maynar & Co.. Boston



الكعبة المشرفة وتبدو أحد مآذن الحرم المكي الشريف

محمد صادق بك، ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م





منظر عام للحرم المكي الشريف.

محمد صادق بك، ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م



مخيم للحجاج في منى

محمد صادق بك، ١٢٩٧هـ - ١٨٨٠م





المدينة المنورة: منظر عام

محمد صادق بك، ١٢٩٧هـ - ١٨٨٠م





منظر لمكة المكرمة والحرم الشريف

محمد صادق بك، ١٢٩٧هـ - ١٨٨٠م

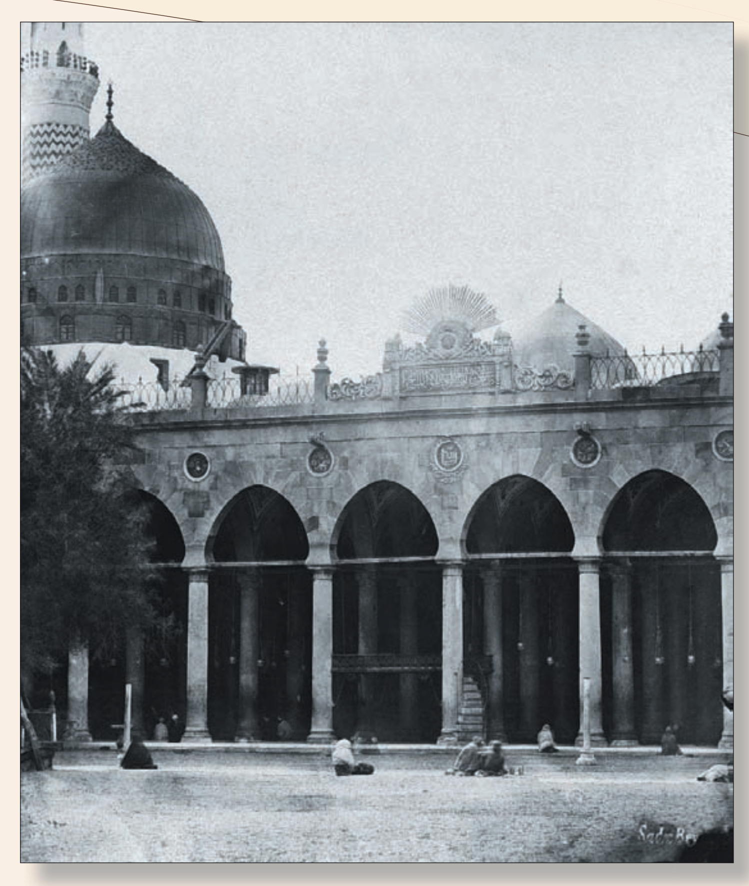




مقبرة المعلاة في مكة المكرمة

محمد صادق بك، ١٢٩٧هـ - ١٨٨٠م





صحن المسجد النبوي الشريف

محمد صادق بك، ١٢٩٧هـ - ١٨٨٠م





باب الصفا- الحرم المكي الشريف

محمد صادق بك، ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م

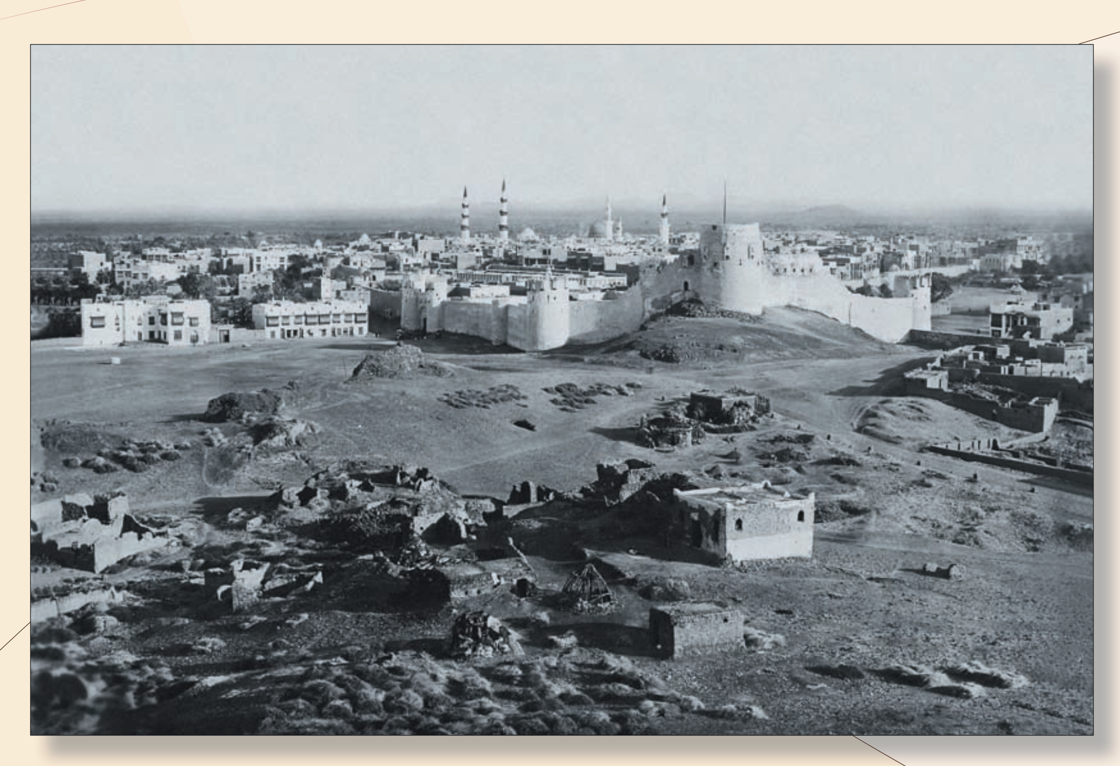




منظر للمدينة المنورة والمسجد النبوي الشريف

ميرزا، حوالي ١٣٢٤هـ - ١٩٠٧م

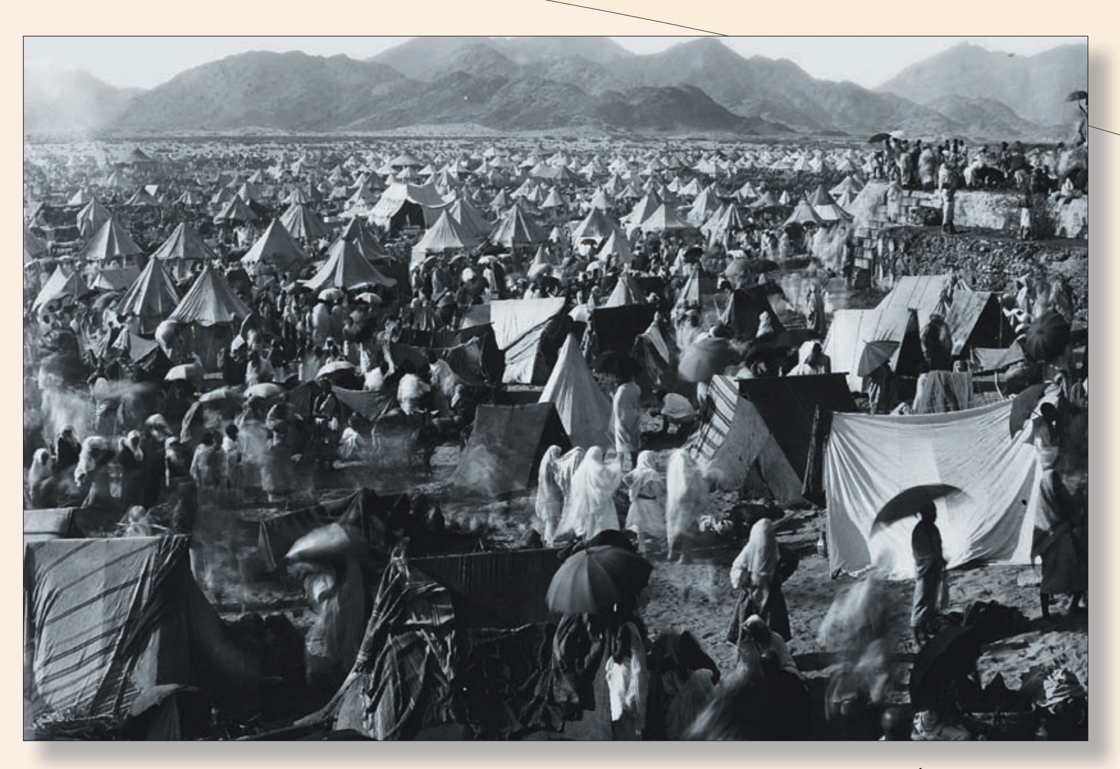




منظر عام للمدينة المنورة وتبدو مآذن المسجد النبوي الشريف

ميرزا، حوالي ١٣٢٤هـ - ١٩٠٧م

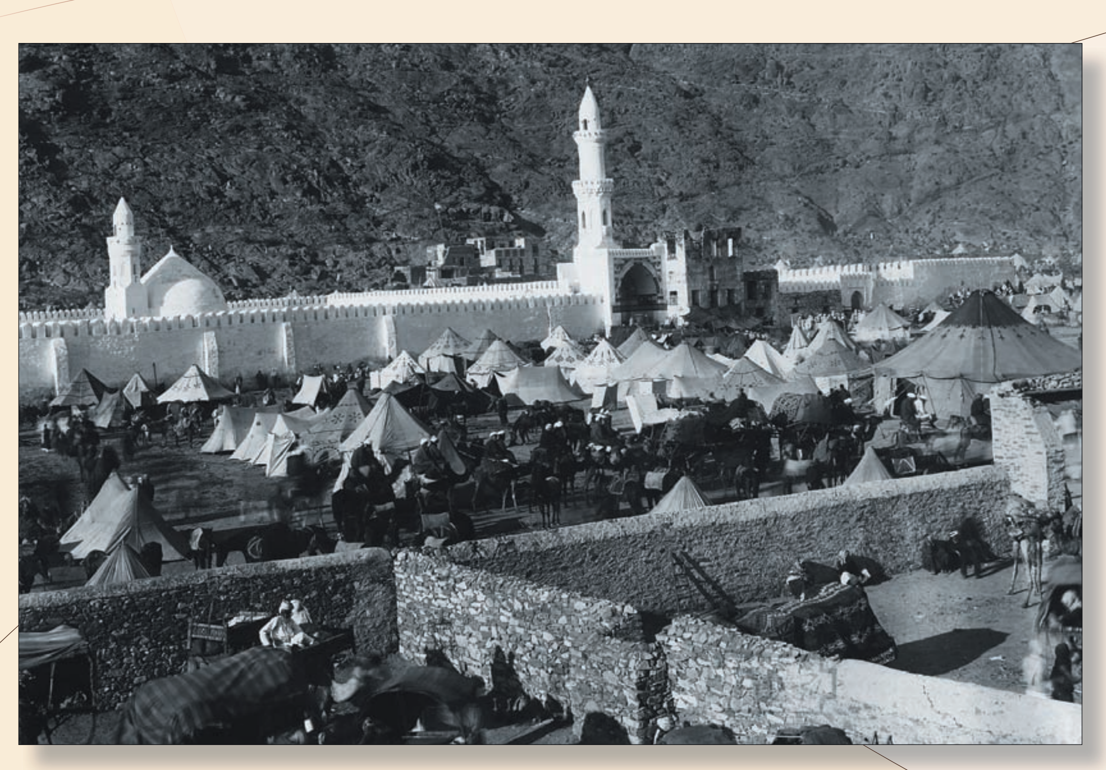




مخيم للحجاج في عرفات

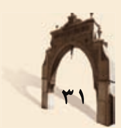
ميرزا، حوالي ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م





مسجد الخيف في منى

ميرزا، حوالي ١٣٢٤هـ - ١٩٠٧م





مقبرة المعلاة في مكة المكرمة

ميرزا، حوالي ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م





باب عنبرية، المدينة المنورة

ميرزا، حوالي ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م





المسجد الحرام ويبدو في الخلف على قمة الجبل مسجد بلال

ميرزا، حوالي ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م

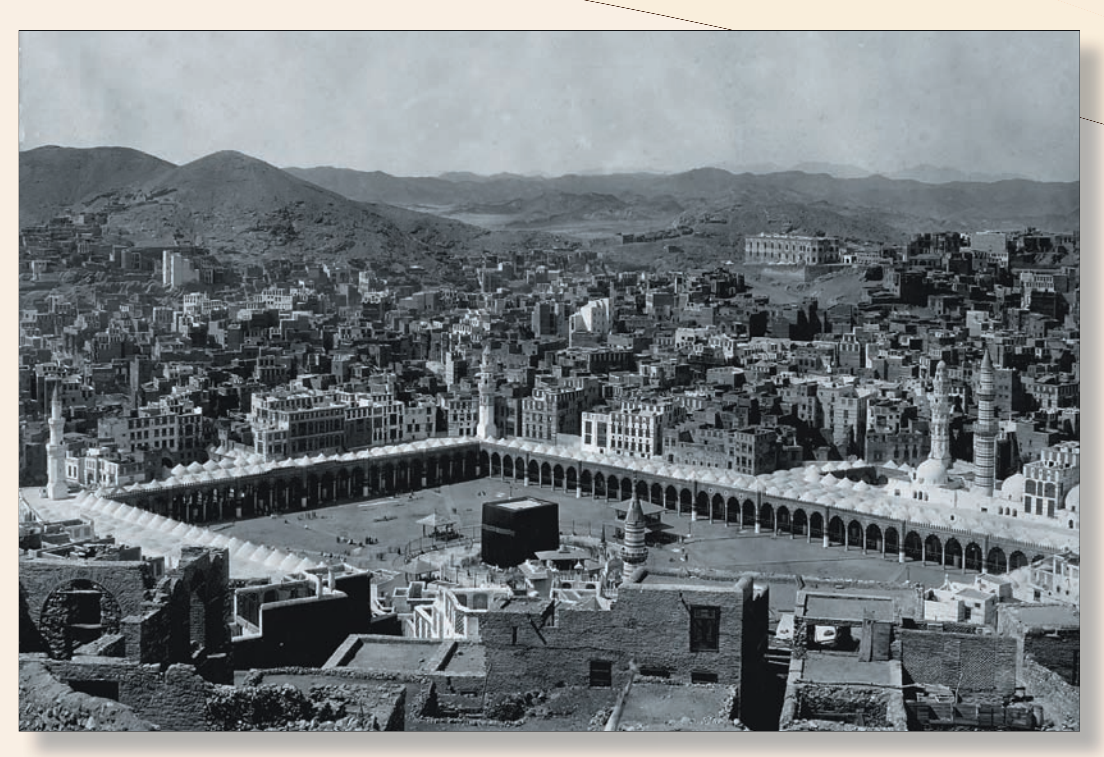




مسجد قباء - المدينة المنورة

ميرزا، حوالي ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م





منظر عام للحرم المكي الشريف وللجهة الشمالية الغربية لمكة المكرمة

ميرزا، حوالي ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م

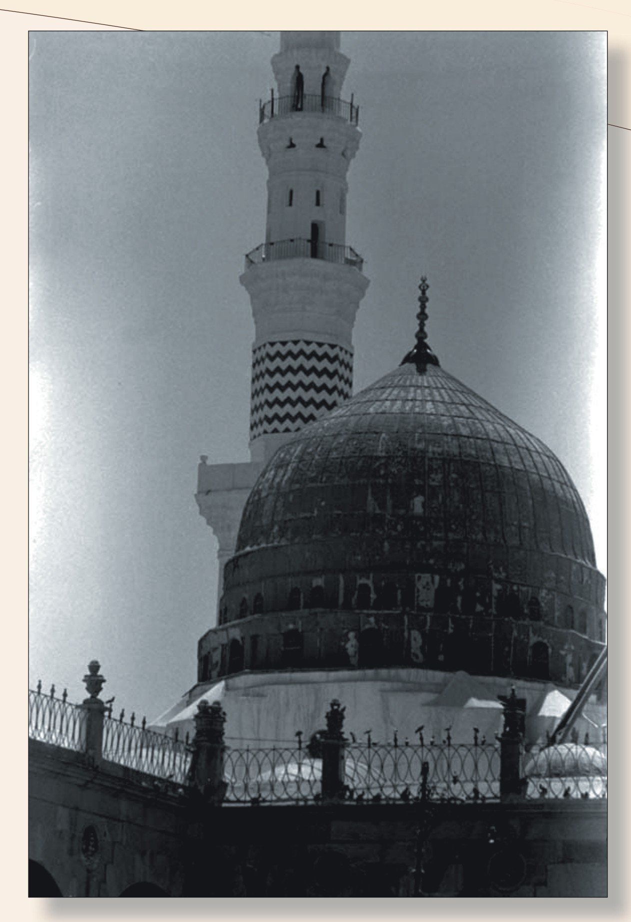




مقبرة البقيع في المدينة المنورة

ميرزا، حوالي ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م

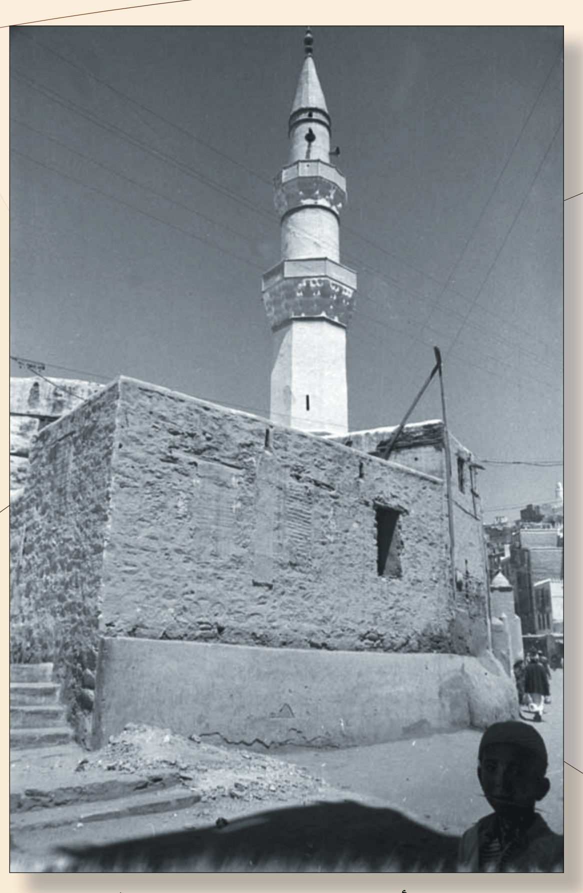




القبة الخضراء ومئذنة المسجد النبوي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

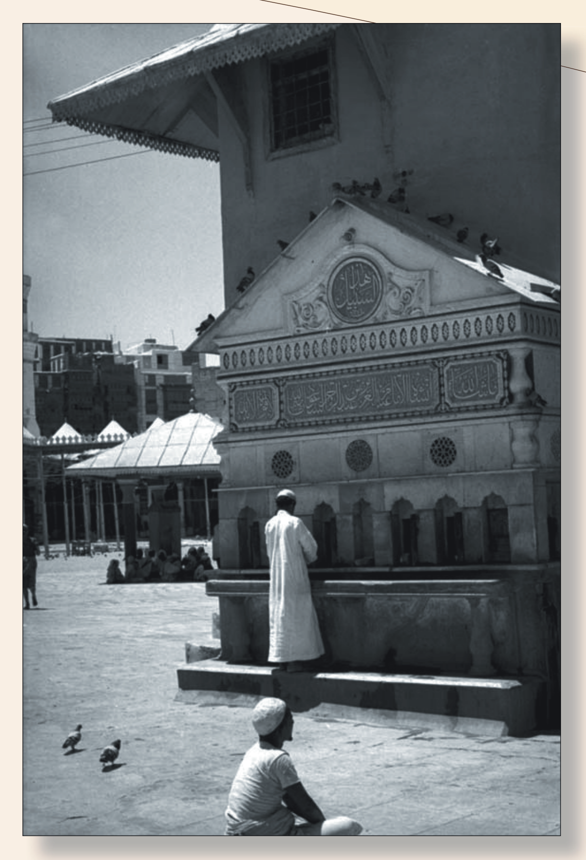




مئذنة على باب أم هاني المجاور لباب الوداع في الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

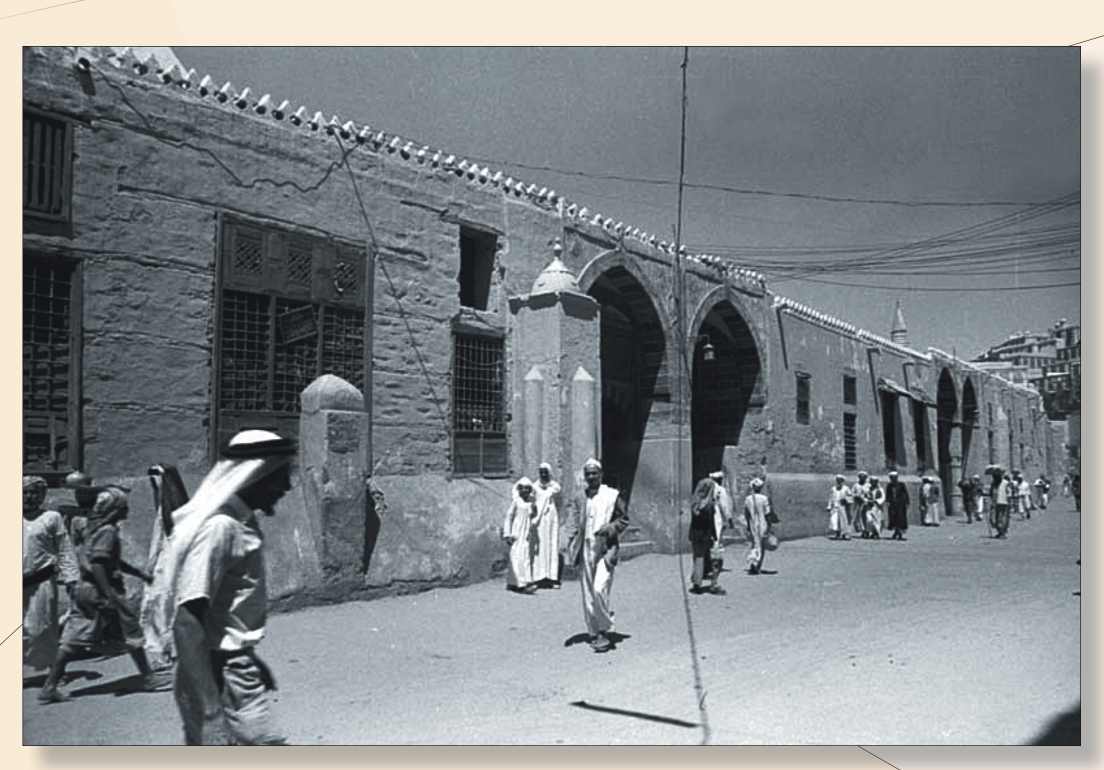




جانب من بئر زمزم وساحة الحرم المكي الشريف

محمد حلمي ، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





باب جياد – الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م



باب جياد – الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





باب الصفا – الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م



باب الصفا – الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





بئر زمزم وجرى تشييد البناء على يد الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م



درج يستخدم للدخول إلى الكعبة المشرفة

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





الكعبة المشرفة ويظهر الحجر الأسود

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





مقام إبراهيم ويبدو باب بني شيبة

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م



رواق زيادة باب الزيادة

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





جزء من الكعبة المشرفة (القبة البيضاء في خلفية الصورة) ومقام إبراهيم، وباب بني شيبة وجزء من بئر زمزم.

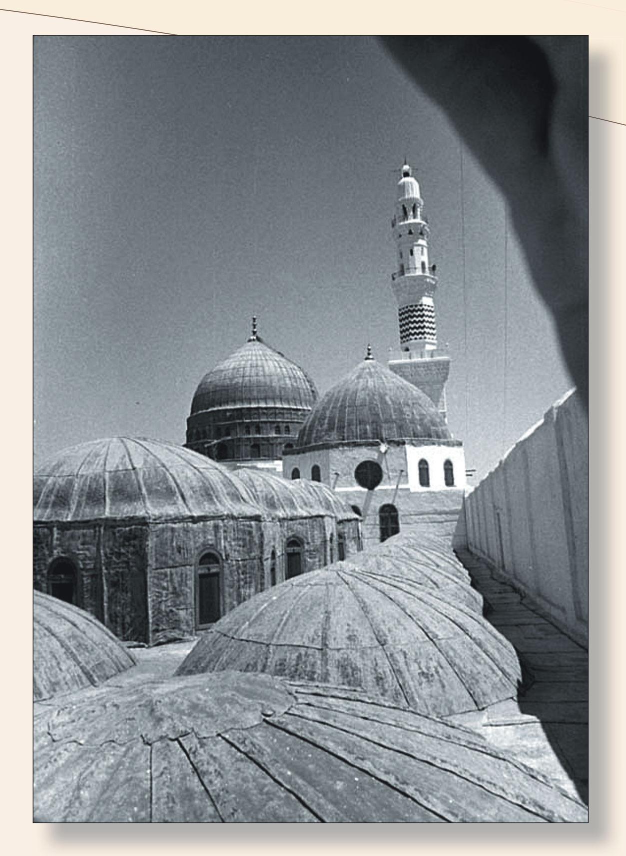
محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م



باب الصفا – الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





سطح المسجد النبوي الشريف

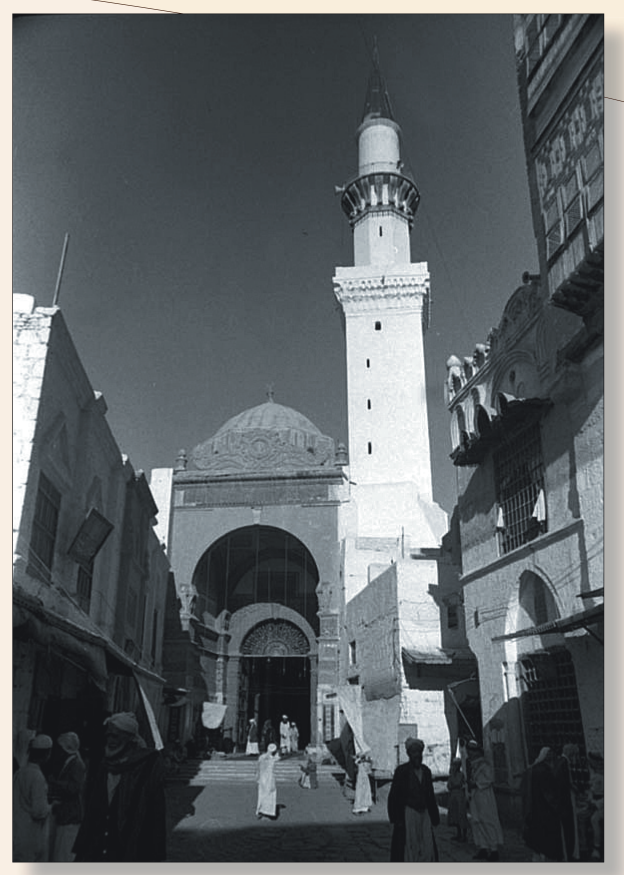
محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م



مئذنتان للحرم النبوي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





مئذنة وباب السلام ويبدو على اليسار المدرسة المحمودية

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





ميرزاب الكعبة المشرفة

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





المسجد النبوي الشريف من الداخل

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





منبر رخامي - داخل الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

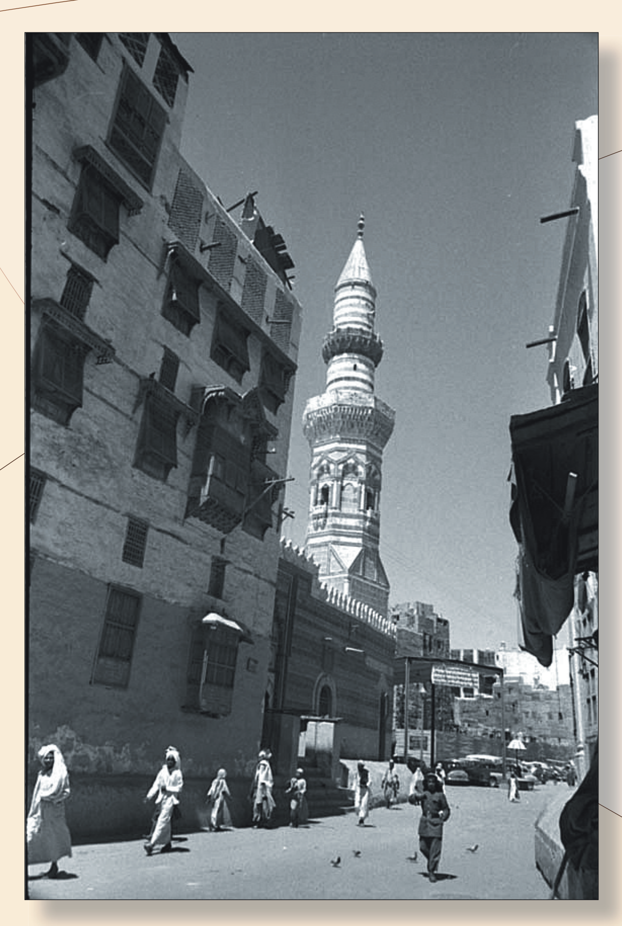




باب العباس - الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





مئذنة باب علي - الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





زخرفة لأحد قبب المسجد النبوي الشريف

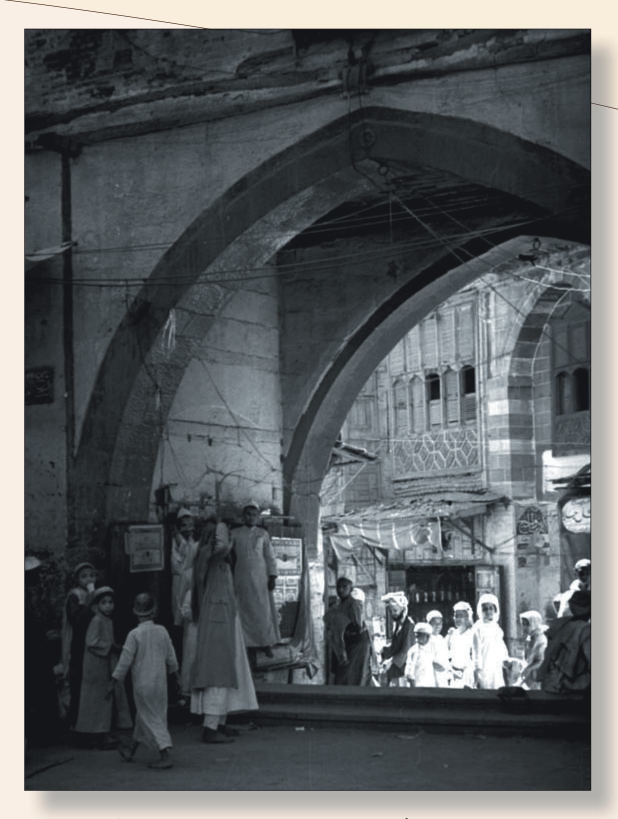
محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م



أحد ساحات الحرم المكي الشريف الداخلية

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





باب السلام الكبير المؤدي إلى المسعى - الحرم المكي الشريف

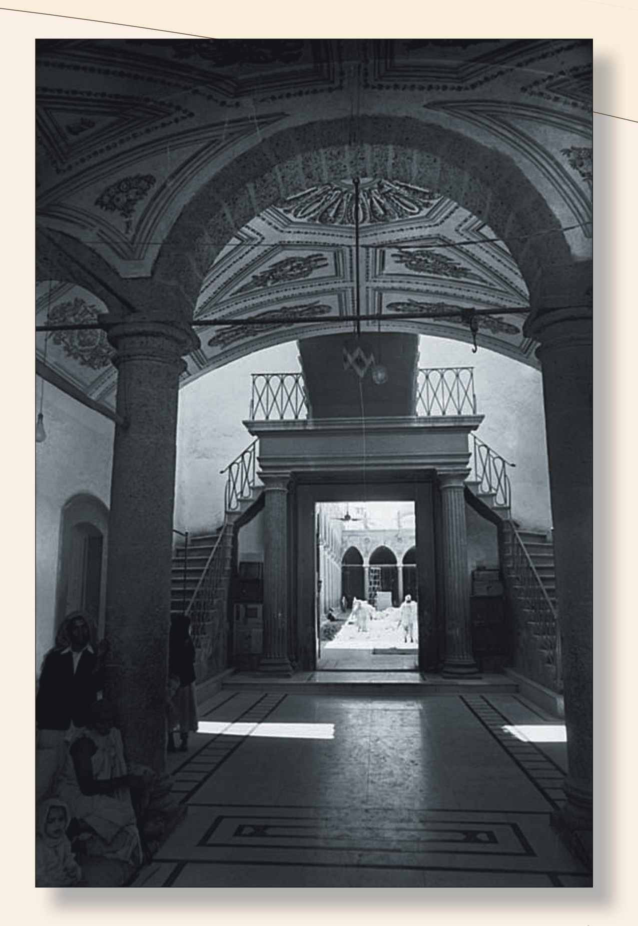
محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م



أحد جدران الحرم المكي الشريف وقد زين بالكتابات والنقوش

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

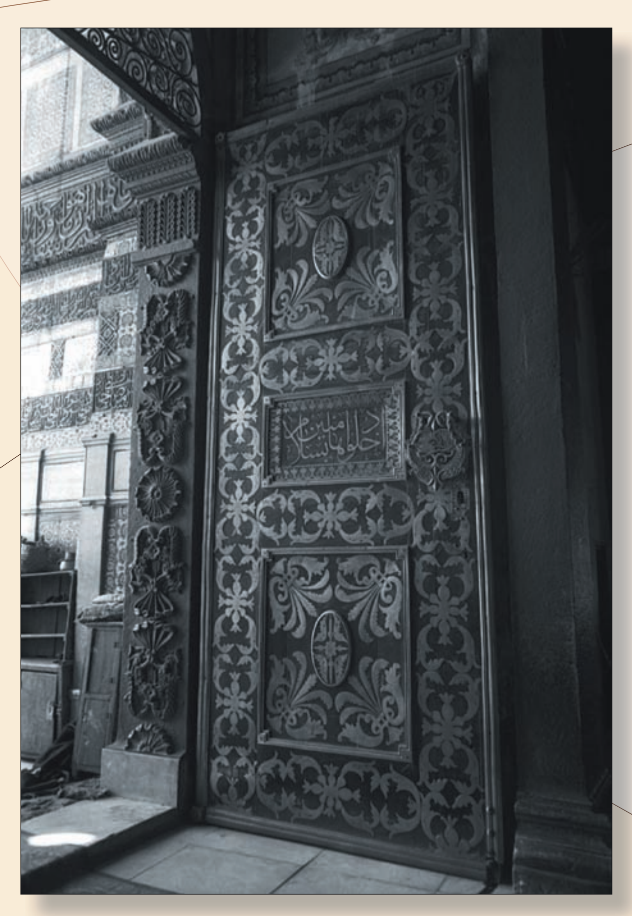




أحد ساحات المسجد النبوي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

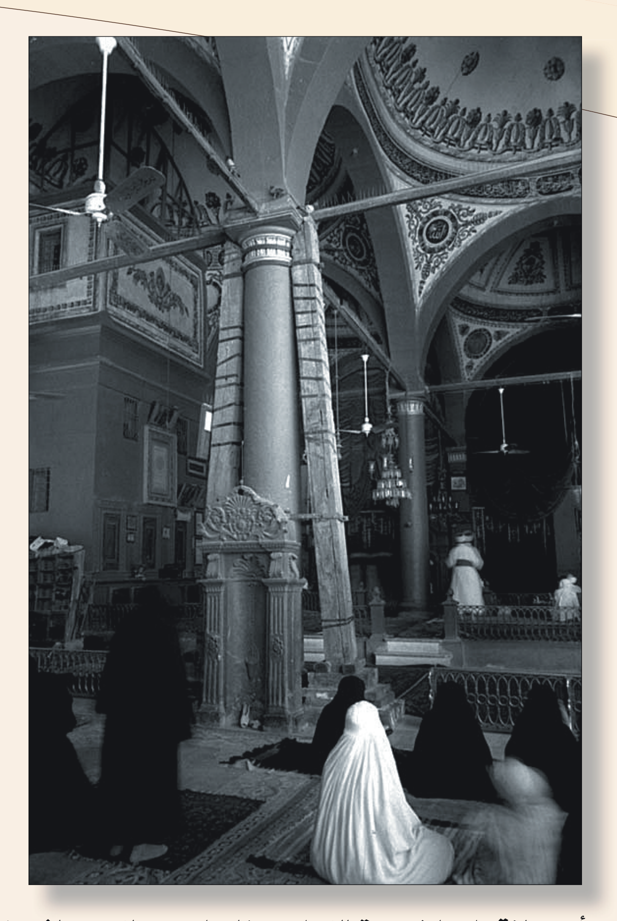




مصراع باب لباب السلام

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





أحد الاقسام المخصصة للنساء داخل المسجد النبوي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م



أحد الاسواق الخارجية ويبدو سور الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





باب السلام - الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م



الروضة الشريفة داخل المسجد النبوي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





مئذنة باب علي في الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

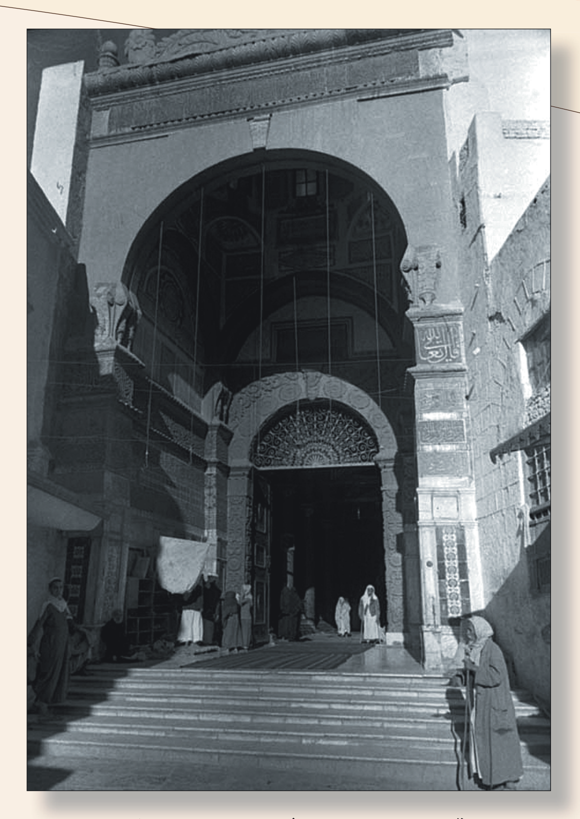




الكعبة المشرفة وساحة الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

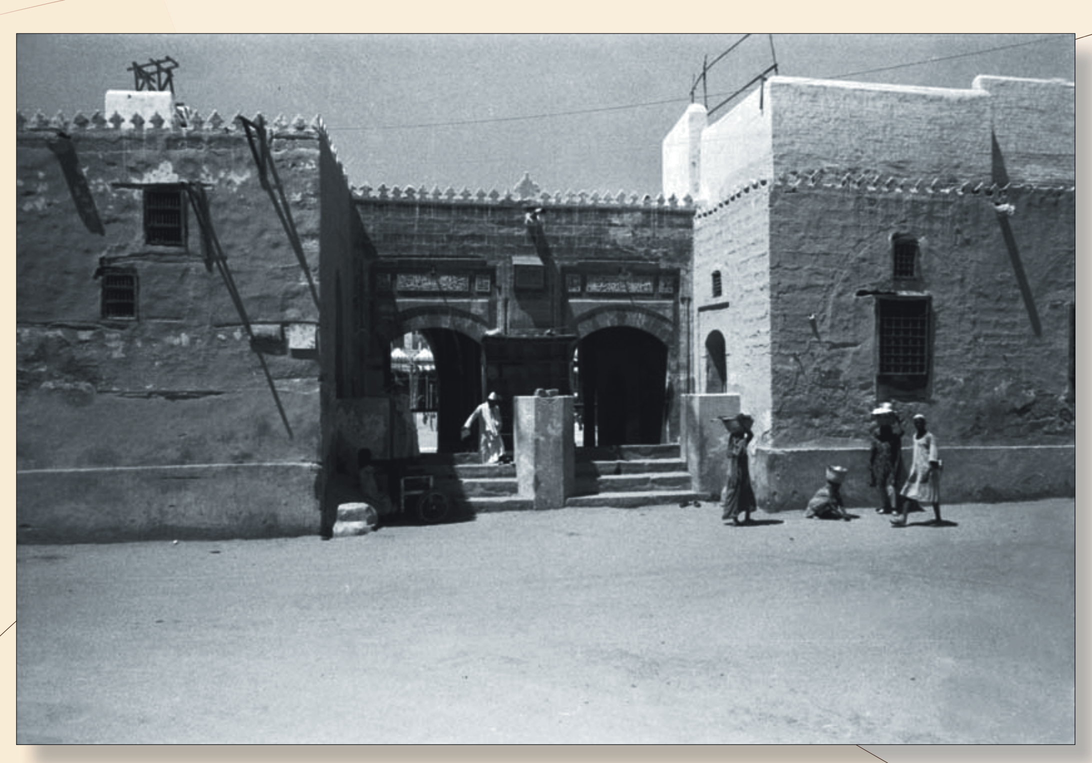




منظر من قريب لباب السلام في المسجد النبوي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





باب البغلة - الحرم المكي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





باب بني شيبه

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

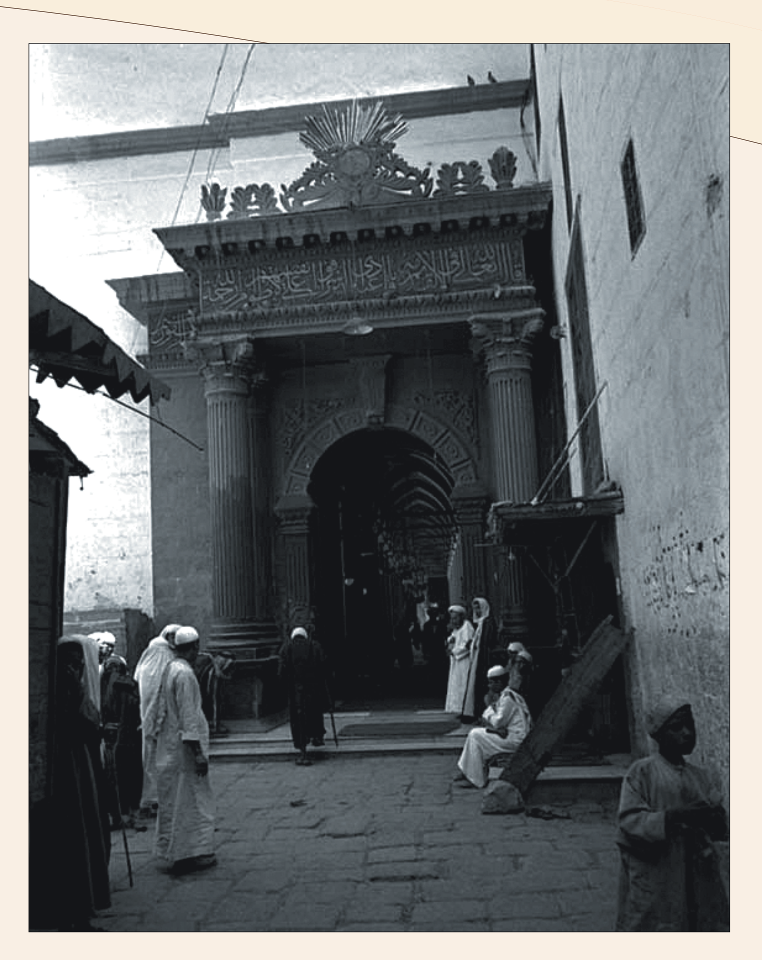




أحد أبواب المسجد النبوي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م





أحد مداخل المسجد النبوي الشريف

محمد حلمي، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م







مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

King Abdulaziz Public Library

Riyadh 11622 الرياض P.O.Box 86486 ص. ب

Fax 00966 1 4911949 فاكس Tel. 00966 1 4911300 هاتف

E-mail: kapl@anet.net.sa www.kapl.org.sa